محمد رشدى خليل

إن رشدى لم يمت.
سجنوه أمرضوه اعدموه فى الليمان
ثم عادوا وجدوه يحتوى كل مكان
ان رشدى لم يمت.
فهو فى صدرى وصدرك
هو فى قلبى وقلبك
(من قصيدة رثاء كتبها أحد رفاقه فى السجن)

البداية كانت على يد شقيقه د. فتحى خليل. وفيما كان فتحى فى معتقل هايكستب (١٩٤٨-١٩٤٩) كان رشدى طالبا فى المدرسة الثانوية. وكان قد بدأ نضالا واسعا وسط زملائه الطلاب فى شبرا. وفى عام ١٩٥٢ التحق بكلية الهندسة جامعة عين شمس. وهناك التقينا. كنت أنا طالبا فى حقوق عين شمس فى الدور الثانى من ذات المبنى وكنت مسئولا عن رابطة الطلبة الشيوعيين (حدتو) فى الكليتين. وأتانى جمال عبد الحميد وكان طالبا فى الهندسة ليبلغنى أن طالبا بالهندسة من تنظيم طليعة العمال يريد مقابلتى. والتقينا. قال فى بساطة جميلة أعرف أن قيادتك سترفض، وأن قيادتى سترفض أن نعمل معا عملا مشتركا، لكننى معجب بنشاطكم فى كلية الحقوق واقترح أن نعمل معا. وعملنا معاً. وفى هذه الفترة التهب المبنى حقوق وهندسة بأعمال ثورية شاركنا فيها الوفديون ومصر الفتاة وتشكلت الجبهة الوطنية الديمقراطية لطلاب حقوق وهندسة عين شمس. أنا اعتقلت فى أواخر ١٩٥٣ وهو اعتقل فى ١٩٥٤ عقب الاعتصام الشهير لطلاب الكليتين مطالبين بالديمقراطية وعودة الجيش إلى ثكناته. ويفرج عنه بعد فترة ليواصل دراسته ويواصل معها نضاله. وتألق رشدى خلال فترة العدوان الثلاثى (١٩٥٦) فقد أصبح أحد قادة حركة

المقاومة الشعبية فى شبرا ثم فى القاهرة، وأسهم فى تأسيس «الجبهة الوطنية المعادية للاستعمار». وفى ١٩٥٨ وعندما اتحدت كل المنظمات الشيوعية فى حزب واحد لعب دورا قياديا فى تثبيت هذه الوحدة. وأصبح أحد قادة منظمة الحزب فى القاهرة. ثم كانت حملة القبض الشرسة فى أول يناير ١٩٥٩ وأفلت رشدى ليواصل معركة تجميع الرفاق واعادة تنظيمهم لمواجهة هذه الهجمة الشرسة. حتى قبض عليه ليرسل إلى معتقل العزب بالفيوم. ومن الفيوم إلى أسوأ سجون التعذيب الناصرى فى أسوأ فترات وحشيته. الضرب مستمر فى الجبل حيث يقوم المعتقلون بتكسير البازلت تحت وطأة العصى ثم الضرب عند استلام الطعام ثم الضرب فى الزنزانة.. ونستمع إلى شهادة أحد المعتقلين «كان رشدى صلبا فى الجبل مثل البازلت الذى يقوم بتكسيره لكنه لم ينكسر وكان صلبا فى الزنزانة فما أن يغلق الباب حتى يبدأ فى إدارة حوارات حول المستقبل، وحول أهمية صيانة الوحدة» وذات يوم خطر ببال الضابط حسن منير وسيلة منحطة لإذلال السجناء. اختار عشرين منهم ووقفهم صفين كل صف عشرة وطلب من أفراد الصف الخلفى أن يضرب كل منهم زميله الذى يقف أمامه. وفيما الجميع يرفضون صامتين صاح رشدى بأعلى صوت «لا يمكن أن اضرب زميلى» وأنهال حسن منير عليه ضرباً ثم ساق العشرين ليحشرهم فى زنزانة واحدة. ويقول زميل هذه الزنزانة محمد سعده «كانت الزنزانة مترين فى متر ونصف ولا تكفى لنا ونحن مرصوصين وقوفا. واقترح رشدى أن يجلس اثنان ليرتاحا بينما يقف الباقون، وكان يختار الاكبر سنا والأقل احتمالا ليعطيه أولوية الجلوس أما هو فلم يجلس محاولا أن يحتمل من أجل راحة الرفاق الأكبر سنا أو المتعبين. زملاؤه فى هذه الزنزانة النازية يتحدثون. نجاتى عبد الحميد يقول : «كان رشدى خليل متماسكا يدعو الجميع للتماسك ويحشر نفسه على الحائط ليفسح سنتيمترات لزميل متعب». ومحمد سعده يقول «كانت الزنزانة رهيبة وبشعة واستمر رشدى واقفا أربعة أيام.. التبرز كان مشكلة مستعصية ورائحة البول تملأ الزنزانة».

اكرام محارب «قال عندما فتحوا باب الزنزانة خرج رشدى مثنى القامة ولم يفرد ظهره بعدها». وبعدها اشتد المرض برشدى، لكن الطبيب النازى هو ايضا واسمه أحمد كمال كتب تأشيرة تقول أنه متمارض يتظاهر بالمرض فعوقب بالضرب وهو مريض وعندما ارتفعت درجة حرارته إلى ما يقرب من ٣٩ درجة نقلوه إلى زنزانة الملاحظة. ومرة أخرى

يقرر الطبيب أحمد كمال أنه مصاب بالانفلونزا والعلاج نوفالجين، ولكن الحالة ازدادت سوءاً. وبالمصادفة مر على زنزانة الملاحظة طبيب آخر هو الدكتور أدمون فشخص الحالة بأنها تيفود وكتب له علاجا. لكن أحمد كمال عاد ليلغى علاج التيفود ويكتفى بالنوفالجين. وكأنه مصمم على تنفيذ أوامر بالحكم عليه بالإعدام. ويستمر الحال ثلاثة أيام حتى انهار الجسد الشاب والفتى، وارتفعت حرارته إلى ٤٠. ومع صراخ المسجونين حضرت يوم الجمعة سيارة بيك آب من سيارات الشرطة لتنقله إلى المستشفى. ألقوا به ممدا على أرضية السيارة زاعمين أنهم سيرسلونه إلى المستشفى.

ويحكى نبيل زكى أنه أفلت من الطابور ودخل عليه زنزانة الملاحظة ليودعه لكن رشدى وحتى وطأه الحمى قال له «أرجوك يا نبيل شوف الرفاق لو عايزين يبلغوا أى شىء للخارج يبلغونى وأنا سأبذل جهدى لايصال الرسالة. وحملت سيارة البوكس الفتى الشجاع ممدا على أرضية من الحديد. وأسرعت. والطريق من أبو زعبل ملئ بالمطبات ومع كل مطب يرتفع رأس الفتى ليعود فيرتطم بالحديد، مرة، مرات، عشرات المرات، وربما مئات المرات.. والسيارة لم تذهب إلى المستشفى ربما خوفا من تقرير طبى يصف الحالة، ولهذا ذهبوا به إلى سجن مصر. وألقوا به فى زنزانة وليس حتى فى مستشفى السجن. اغلقوا باب الزنزانة وتركوه هكذا حتى فارق الحياة. وهنا فقط عرضت الجثة على الطب الشرعى. ويقول تقرير الطبيب الشرعى الدكتور محمد نجيب فهمى والمؤرخ فى ٢٤-٧-١٩٦٠ «السجين محمد رشدى خليل توفى بسبب هبوط فى القلب سبقته حمى تيفوئيدية وكسر بعظام الجمجمة ونزيف على سطح المخ». وفى أعلى التقرير تأشيرة تقول «تخطر النيابة» بما يعنى الوفاة جنائية. لكن النيابة لم تخطر.

ويصل نبأ الاستشهاد إلى رفاقه فى السجن ويقف أحد الرفاق ليرثيه..

أن رشدى لم يمت
هو فى كل الملايين التى
حولى وحولك
فى المصانع فى المزارع
فى الشوارع
الملايين التى تزحف

قدما لا تنثنى.. لا تتوقف
هى كالامواج .. صف بعد صف
كلما ماتت على الصخرة موجة
عاجلتها الف موجة
نحن لن نبكى الشهيد
ليت من يبكى عليه ويواسى النائحين..
وللحزب يديه.. لنبيد الغاصبين